

نبذة عن
حالة الفنون الجميلة في مصر
ووسائل علاج بعض نواحيها

مقدمة إلى
حضرة صاحب المعالي وزير المعارف

من
أحمد فكري
الحائز لدرجة دكتوراه الدولة في الآداب

obeykandi.com

تعهد

لم تبد وزارة المعارف العمومية اهتماماً جدياً بنهضة الفنون الجميلة في مصر الا منذ ثمانية أعوام حين أنشأت ادارة الفنون الجميلة ، ولم يجد هذا الاهتمام كثيراً ، فقد انحط المسرح الى أكثر مما كان عليه قبل هذا التاريخ ، وظل الجمهور بعيداً عن التأثر بمظاهر الفن والجمال . وقد يرجع هذا الى أسباب تخرج عن سلطة ادارة الفنون وتتصل بحياة الجمهور المصرى من الوجهة الاجتماعية أو الفكرية أو المادية ، ولكن هناك أسباباً أخرى تدخل في دائرة هذه السلطة أتقدم ببيان عن بعضها وبشرح ما أراه جديراً بالاعتبار من وسائل علاجها :

كتب المسيو (هوتكور) أول مدير للفنون الجميلة في مصر مقالا عن هذه الادارة في المدد الذى صدر في يونيو سنة ١٩٣٠ من مجلة الفنون الجميلة (Beaux - Arts) أبان فيه أوجه الضعف التى تعجزها عن أداء مهمتها فقال « ان الأزمات الوزارية والقوانين الادارية والمالية الجامدة الضيقة وانعدام الموظفين الفنيين وبالمكس وجود موظفين آخرين من جنسيات عديدة يتكلمون لغات أجنبية مختلفة وضرورة مراعاة كل الشماثر والمشاعر والتهرب من المسئولية والميل الى البطء تحت حرارة الشمس المحرقة والصعوبات المالية الحالية ، كل هذه أسباب لم تسهل معها المهمة وعاقبت تنفيذ المشروعات »

ولست أنحو منحى مدير الفنون الجميلة السابق ولا أعنى في الآراء التى أقدمها الا بالاحاطة الفنية بالبحثة

ضيق سلطة ادارة الفنون الجميلة

أبدأ بذكر ما يؤسف له من أن سلطة ادارة الفنون الجميلة محصورة في دائرة ضيقة لا تمتد الى كل ما يشمل الفنون الجميلة في مصر . وبديهي أنه لا يمكن لهذه الادارة أن تحقق الغرض الذى أنشئت من أجله وهو تربية الذوق الفنى في مصر إلا اذا عنيت بكل النواحي التى تتصل بهذه التربية أو تساعد على تحقيقها . ويكفى للدلالة على ذلك ما نشاهده من أن مصلحة المباني مثلا لا تستأنس برأى ادارة الفنون فيما تقيمه من المباني أو تقوم به من الاصلاحات . كما أن مصلحة التنظيم أيضاً لا تفكر في استشارة ادارة الفنون فيما تقدم عليه من المشاريع الهامة التى تتصل بتحسين العاصمة وتجميلها ، ومن

الجائز أن يكون في الرأي الذي تسديه هذه الادارة عن مشروع توسيع ميدان العتبة الخضراء مثلاً مايزيده رونقاً أو يوفق بينه وبين مظاهر المباني التي تحيط به . وقد لايسمح أيضاً لادارة الفنون أن تبدى رأياً فنياً الى قلم المرور فيما يختص مثلاً بموقف عربات الامنيوس في ميدان جميل كميدان الأوبرا ، وقد يكون في الرأي الذي تبديه حينئذ مامن شأنه أن تحتفظ هذه الساحة بجمال مظهرها

ولم أضرب هذه الأمثلة الا عن ناحية واحدة من النواحي التي يمكن أن تعنى ادارة الفنون بها ، أو أن يكون لها فيها رأى استشارى . وهناك نواح عديدة أخرى كاقامة الحفلات الرسمية وكتنظيم المعارض الحكومية وكالاشراف على اصدار نشرات الدعاية والمطبوعات والاعلانات التي تنذمها الحكومة والتي يكون لها صبغة فنية ، وكذلك اختيار الأثاث الثمين الذي تشتريه الحكومة أو توصى بصنعه لها ، وغير ذلك مما يكون للذوق الفني صلة به . وإذا كان كثير مما ذكرت لايدخل في اختصاصات ادارات الفنون الجميلة في أوروبا إلا أنه يجب أن لا ننسى أن التربية الفنية في بلادنا مازالت في دور طفولتها ولهذا يجب تعهدنا من كل نواحيها

ولست أعنى بهذا نقصاً في الادارات أو المصالح الأخرى التي لا تتصل الآن بإدارة الفنون ولكن الغرض منه هو توحيد الفكرة والسياسة التي تتبع في تعهد الذوق الفني وتربيته . ومع هذا فإن أكثر ماأشير به متبع في فرنسا ولادارة الفنون في البعض منه سلطة تنفيذية وفي البعض الآخر رأى محترم . وأقرب مثل أستطيع أن أضربه لذلك هو ما أعرفه من أن ادارة الفنون الجميلة فيها تكلف بتنظيم الحفلات الرسمية حتى حفلات الجنائز . وإذا كان الفرنسيون يعنون بمظاهر الفن في كل شيء حتى في مواقف الموت فما أحوجنا أن نعنى بها نحن في أهم مظاهر حياتنا العامة

ضعف سلطتها على بعض المصالح التي تتبعها (المتاحف والآثار)

ومع قلة النواحي التي تعنى بها اليوم ادارة الفنون الجميلة فإن بعض المصالح التي تتبعها تخرج عن سلطتها ولا تتصل بها إلا بصلة اسمية . فللمتحف المصري كإلدار الآثار العربية مثلاً ادارة ليس لمراقب الفنون الجميلة سلطة حقيقية عليها . وقد لا يكون له فيهما رأى مأخوذ به - أو هذا على الأقل هو ما تنطق به الظواهر - مع أن مراقبة الفنون الجميلة هي حلقة الصلة بين هذين المتحفين وبين المتاحف الأخرى ، وهي التي يجب أن تسيطر عليهما ، وقد يكون لها رأى مقبول في تنسيق معروضاتهما أو تنظيم ادارتهما . وقد يمكن للمراقبة - إذا كانت تشرف على المتاحف اشرافاً فعلياً - أن تحملها مثلاً من وقت لآخر على اقامة معارض جزئية تعرض فيها تحف عصر من المصور أوفن من الفنون ، ففي هذا ما يكسب الجمهور ثقافة فنية وتاريخية ، وما يظهر له على حدة تحفاً نفيسة كانت تختفي عن

أنظاره بين آلاف أخرى معروضة أمامه . وفي تنظيم هذه المعارض أيضاً ما يرغب الجمهور في زيارة المتاحف وقل بين المصريين من يتجه إليها، وكثير من هؤلاء يكفى في حياته زيارة واحدة لها وهناك وسائل أخرى لحل الجمهور على التردد على المتاحف المصرية يمكن لمراقبة الفنون الجميلة أن تفكر فيها وتتولى تنفيذها . والأمر كذلك في الآثار القديمة مصرية وإسلامية ؛ ويغلب على ظني أن مراقب الفنون الجميلة ليس عضواً بلجنة حفظ الآثار العربية ، وإذا صح هذا الظن كان دليلاً آخر على ما يؤسف له من أن الصلة بين إدارة الفنون الجميلة وبين ما يجب أن يكون من اختصاصها الأول - وهو المتاحف والآثار التاريخية - صلة اسمية بل إنها أحياناً معدومة .

ولست في حاجة إلى الإفاضة في القول عما لهذه الحال من أثر سيء في النهضة الفنية في مصر . وأذكر مثلاً على ذلك ما قرأت في الصحف من أن مصلحة الآثار المصرية لم توافق على اقتراح لمصلحة السكة الحديدية بشأن تسهيل زيارة الآثار لركاب بعض القطارات . ولا شك أن مصلحة الآثار كانت تعنى في هذا الرض برعاية آثارها قبل كل شيء آخر ، ولكنها لم تضع في المرتبة الأولى لاعتابها تثقيف الشعب المصري وإطلاعه على آثار بلاده الفنية .

وإذا كانت إدارة الفنون الجميلة تشرف إشرافاً فعلياً على المتاحف والآثار فإنه يمكن لها أن تستعين بوسائل عديدة على تحقيق تربية الذوق الفني في مصر وعلى التوفيق بين المظاهر الفنية في مختلف النواحي . وأضرب لذلك مثلاً سأعود إليه عندما أتحدث عن المدرسة العليا للفنون الجميلة وهو التصريح المستغلين بالفن والأدب في مصر بزيارة المتاحف والآثار مجاناً . فإن مهمة المتحف الأول هي تثقيف الشعب ، ورجال الفن والأدب أفضل صلة بينها وبينه ، وأكبر وسيلة للدعاية لها عنده . ولست أعتقد أن كثيراً من رجال الأدب يذكرون المتاحف المصرية في كتبهم أو قصصهم أو مقالاتهم أو خطبهم بما يجب الجمهور إلى زيارتها . كما لا أعتقد أن رجلاً من رجال الفن في مصر وضع صورة جذابة لداخل متحف أو لتحفة نفيسة من تحفه . بل ولست أعتقد أن كثيراً من مدرسي التاريخ في المدارس الثانوية يتحدثون إلى تلامذتهم عن المتاحف المصرية بأكثر مما قرأوه في الكتب التي أمامهم . ذلك أن هذه المتاحف لا تفتح أبوابها بسخاء لكل من شأنه أن يساعد الشعب المصري وجمهور المتعلمين منه على تفهم الفن الجميل وتذوق آثار أجدادنا من قدماء المصريين والعرب ومسألة التصريح مجاناً لزيارة المتاحف من المسائل التي يمكن لمراقبة الفنون الجميلة أن تبت فيها وحدها فيسرى قرارها على جميع المتاحف والآثار ، ويكون التصريح الذي تصرفه مشتركاً بينها أو خاصاً بأحدها .

وأضرب مثلاً آخر في سبيل ثقافة الجمهور المصري وهو تنظيم محاضرات تاريخية وفنية في

آثار مصر وآثار العرب تلقى داخل المتاحف المصرية أمام تحفها ، وأخرى تلقى داخل الآثار من مساجد ومنازل ومعابد . وهذه المحاضرات لا تجدى ولا تثمر الثمر الناضج إلا إذا كانت منظمة تنظيماً يتفق مع حاجة الجمهور المصرى المتعلم . ومن الجائز أن يكون البعض منها خاصاً بموضوعات معينة كالآثار عند قدماء المصريين أو الخزف في العصور الإسلامية أو النحت في الفن القبطى وهذه يجوز لكل إدارة من إدارات المتاحف أن تنظمها بنفسها . ولكن هنالك مواضيع عامة يمكن تنظيم محاضرات سلسلة فيها تستدعى أن يلقى البعض منها في المتحف المصرى والبعض الآخر في المتحف القبطى وفى دار الآثار العربية أو في متحف الفن الحديث أو في دار الكتب المصرية . وإدارة الفنون الجميلة هى وحدها الكفيلة بتنظيم مثل هذه المحاضرات ، ولا يمكن أن تحقق مثل هذا المشروع إلا إذا كانت مشرفة إشرافاً فعلياً على إدارات المتاحف المختلفة .

مثال ثالث عن الأوجه التى يصح لإدارة الفنون أن تعنى بها فى إشرافها على المتاحف هو إقامة معرض وقتى للفنون المصرية فى عصورها المختلفة . وهذه فكرة حاولت تنفيذها إدارة الأكاديمية الملكية بلوندره ، ومن الغريب أن لا تقوم فى مصر نفسها فكرة كهذه التى أراد تحقيقها رجال الفنون البريطانيون . والسبب فى هذا أن المتاحف المصرية - كما ذكرت - منعزلة الواحد عن الآخر فى إدارته وفى سلطته وفى تفكيره . وليس لإدارة المتحف المصرى مثلاً أن تفكر فى إقامة معرض يضم تحفا إسلامية وليس لإدارة دار الآثار العربية أن تعنى بشؤون تتصل بالتحف المصرية القديمة . وإدارة الفنون الجميلة هى وحدها الكفيلة بالتوفيق بين هاتين الإدارتين .

وهناك على ما أعتقد مذكرة للمسيو (هوتكور) عند ما كان مديراً عاماً للفنون الجميلة بمصر عن الغرض الذى كان يرى إليه من ضم جميع المتاحف تحت سلطة واحدة وهى سلطة إدارة الفنون الجميلة لم تكن الأسباب التى حدثت به إلى وضع هذا الاقتراح ولم تكن الأسباب التى أدت إلى الأخذ به إدارية بحثة بل كان هناك غرض أسمى من هذه وهو تآزر المتاحف وإدارات المتاحف تآزراً فنياً وثيقاً للعمل على تثقيف الجمهور المصرى

دائرة اختصاص إدارة الفنون الجميلة

إذا كانت هنالك نواح فنية تخرج عن اختصاص مراقبة الفنون الجميلة وإشرافها كمثل التى ذكرتها فى تمهيد هذه التبذة وهنالك نواح أخرى لاتصل بها إلا بصلة إسمية كإدارات المتاحف والآثار التاريخية فالواقع أن مراقبة الفنون الجميلة لا تهتم إهتماماً جدياً إلا بثلاث إدارات : الأوبرا والمسرح والموسيقى من جهة ، ومتحف الفن الحديث من جهة أخرى ، وأخيراً المدرسة العليا للفنون الجميلة . ومما يدعو

إلى الأسف الشديد انه مع ضيق هذه الدائرة التي تعنى بها إدارة الفنون الجميلة فإن في مظاهر هذه الإدارات ما يدل على نقص كبير .

المسرح والموسيقى

أما عن المسرح والموسيقى فقد عنى وزير المعارف الحالى بهذه الناحية من نواحي حياتنا الفنية والاجتماعية وأحال على لجنة خاصة أمر النظر في اصلاحها وقد أشارت اللجنة في تقريرها الأول إلى عوامل الضعف ووسائل العلاج ولاشك أن الأخذ بمقترحاتها سيؤدى إلى الإصلاح المنشود . فلا حاجة بي الى إعادة البحث في هذا الموضوع وأكتفى بدرس الناحيتين الآخرين من دائرة اختصاص مراقبة الفنون الجميلة

متحف الفن الحديث

الغرض من انشائه

قد يكون متحف الفن الحديث أجمل فكرة أخرجتها إدارة الفنون الجميلة ، وهو بحق وليدها الوحيد ، فهمى لم تمن فيما عدا ذلك إلا بالاصلاح والتنظيم . ولم يكن في مصر متحف للفن الحديث قبل انشاء هذه الادارة ، وكانت حياتنا الفنية تقف عند منتجات الفن الاسلامى . والغرض الذى من أجله أنشئ هذا المتحف كان ولا يزال إطلاع الجمهور المصرى ورجال الفن منه على مظاهر الفن الأوروبى في عصوره الحديثة وعلى تحف رجال الفن المعاصرين من مصريين وأجانب . وفى ذلك وسيلة من أكبر الوسائل لتهديب ذوقنا الفنى ، وعون قوى على إتمام ثقافتنا الحديثة . ولست في حاجة إلى الاطالة في شرح هذا الغرض فأهميته في حياتنا الاجتماعية واضحة . ولست في حاجة إلى بيان ما للتربية الفنية من أثر عميق في تقويم أخلاق الشعوب وإذكاء نهضتها .

وقد أجمع علماء التربية وعلماء الفنون على أن الغاية الأولى من المتاحف هي الثقافة والتهديب إذ ليست المتاحف قاصرة على أن تكون دوراً للحفظ وخزانات للتحف الثمينة ، وليست مهمتها قاصرة على أن تعرض أمام الجمهور أغلى الآثار وأعظمها رونقاً وجمالاً ، ولكن غايتها الأولى أن تطلعه على صفحة نقية من صفحات تاريخ المدينت . فلا ينبغي أن يكون المتحف المصرى مثلاً مخزناً جمعت فيه أكبر كمية من آثار قدماء المصريين . ولكنه دار تنطق محتوياتها بما كان لمصر في عصورها

القديمة من تاريخ مجيد ، ومعهد تلقى فيه دروس في ما كان لمدنيتها من رخاء ولفنونها من زهاء ، وفيه يجب أن يهب الزائر إلى إدراك ما كان لقدماء المصريين من مثل أعلى في الجمال وإلى أى ناحية اتجهت تربيتهم الفنية . وإذن فلا بد أن تكون معروضات هذا المتحف منسقة بحيث تشعر الجمهور بكل هذا فلا يرى الزائر العادى نفسه أمام معروضات مكدسة يصعب عليه أن يفرق بين الواحدة والأخرى أو أن يقدر لكل منها من القيمة التاريخية أو الاجتماعية .

وكذلك الحال في متحف الفن الحديث . يجب أن يكون هذا المتحف معهداً تمد فيه عقلية الجمهور لاستقبال النهضة الفنية واثبتوها ثم لتمضيدها ، ويجب أن يكون معهداً تلقى فيه دروس في ناحية هامة من نواحي المدنية الأوروبية الحديثة ، وأن يتحقق به ما قاله الفيكونت دابرنون Viconte d'Abernon رئيس اللجنة الملكية المتاحف البريطانية من « ن أول واجب على القائمين بالأمر في المتاحف هو حماية عقل الجمهور العادى السليم والوديع . »

أوجه النقص فيه

ولكن من المؤلم أن يكون الجمهور المصرى بعيداً عن هذا المتحف وأن لا يطرق بابه أكثر من مصرى واحد كل يوم . بل قد لا أغالى إذا ذكرت أن من بين الموظفين الفنيين في وزارة المعارف نفسها من يجهل الدار التى تضم تحفه .

ورب قائل إن السبب في ذلك هو رغبة المصريين أنفسهم عن الفن الجميل وانفضاضهم عنه . وهذا أمر معروف ، وما أنشئ هذا المتحف إلا لإدخال روح الفن فيهم ، ولكنه عاش ثمان سنوات وما زال المصريون يجهلون أو يتغاضون عنه ، فهو لا يؤدي إذن الغاية التى أنشئ لها وأعتقد أنه من الممكن اصلاح هذا الحال .

أما أوجه هذا النقص فهى كثيرة منها ضيق الدار التى خصصت له ، وعدم لياقتها لأن تتسع لمتحف من المتاحف ، وعدم وجود موظفين فنيين به ومرشدين للجمهور العادى يدلون على محتوياته من الأهمية ومن القيمة الفنية ، وغير ذلك مما لا يحتاج إلى شرح كبير . وهناك عوامل جوهرية أخرى إليها - كما أعتقد - يرجع السبب في انفضاض الجمهور عن هذا المتحف ومنها اهمال الدعاية له .

اهمال الدعاية له

فإذا كانت في ميزانية هذا المتحف أبواب لشترياته الفنية أو لتفذية مكتبته أو لمرتبات موظفيه

فليس فيها باب خاص للصرف على الدعاية له . وأعود فأكرر إن تربيتنا الفنية مازالت في دور طفولتها وإنه يجب على إدارة الفنون الجميلة أن تتمهدها بعناية أكثر من تلك التي تتبعها إدارات الفنون في الدول الأوروبية . ولكن الأمر عندنا على العكس من ذلك ، فبينما نلاحظ أن الشهرة العالمية التي لمتحف اللوفر لا تغني إدارة الفنون في فرنسا عن أن تعلن عنه وهي تكثر من الدعاية له ولا تقصرها على سكان باريس أو سكان فرنسا بل وتمدها إلى سكان الأمم الأخرى ، وإذا كان ثمة متحف في العالم في غنى عن الدعوة والاعلان فهو متحف اللوفر ، بينما نلاحظ هذا إذا بنا نرى أن إدارة الفنون الجميلة في مصر لم تفكر في بث الدعوة لمتحفها الحديث وهو في أشد الحاجة إليها وطرق الدعاية إلى هذا المتحف عديدة أسهلها النشر في الصحف وفي المدارس وإقامة معارض وقتية فيه أو القاء محاضرات وغير ذلك مما أرجو أن تتاح لي فرصة أخرى لبيانه ولكن الأمر ليس قاصراً على طرق الدعاية بل هنالك ما هو أهم من ذلك وما أعتقد فيه السبب الأول لانصراف الجمهور المصري عن هذا المتحف وهو محتوياته والطريقة التي اتبعت إلى اليوم في تقديمه

محتويات المتحف ومشترياته

صرفت وزارة المعارف على هذا المتحف عشرات الألوف من الجنيهات وزاد اهتمام معالي وزير المعارف به هذا العام فزيدت مقرراته في ميزانية الدولة ، وليس في هذه الزيادة سخاء كبير فالمبالغ التي صرفت في سبيل هذا المتحف والذي يقترح صرفها عليه ما زالت ضئيلة أمام الغرض السامي الذي أنشئ من أجله .

واستنفدت هذه المبالغ كلها في شراء منتخبات من منتجات الفن الحديث في مصر وفي أوروبا ، أصبح المتحف بها اليوم شبيهاً بمسالة للمعرض فيها تحف فنية غنيفة ، يتوقف تقدير قيمتها على درجة تذوق المشاهد لها

والواقع أنه لم تتبع سياسة واحدة انشائية لهذا المتحف ولتغذيته ولم يوضع برنامج محدود للغاية التي يرمى إليها وكأن لوحاته قد انتقيت لمجرد أنها كانت معروضة للبيع أو لأن منها كان معقولا أو لأن فيها أثر من آثار الفن الحديث

عدم تمثيلها لنواحي الفن الحديث

ويجدري أن أقرر أولاً ان معروضات هذا المتحف لا تمثل الفن الحديث ولا تعبر عن اتجاه واحد من اتجاهاته وهي بعيدة عن أن تكون فكرة فنية عن عصر من العصور الحديثة أو عن فن أمة من الأمم الأوروبية ولناخذ مثلاً فن التصوير في إنجلترا فهو مثل سهل لأن هذا الفن حديث فيها لا يتعدى تاريخه مائتي عام

لم يكن في المتحف إلا لوحة واحدة عن هذا الفن أضيفت إليها في سنة ١٩٣١ ثمانى لوحات . ولا شك أن هذا العدد ضئيل إلا أنه متعادل بالنسبة إلى متحف ناشىء كمتحفنا وإذا كان هنالك برنامج موضوع قبل اقتناء هذه اللوحات لكان من الممكن أن يختار من المروض للبيع فى أسواق أوروبا وأمريكا ما يعطى فكرة مقبولة عن الفن الانجليزى ، وكان يمكن أن تخصص لها غرفة يكون فى نظامها وزخرفتها ما يشعر الزائر لها بما للفن الانجليزى من اتجاهات ومعان وأطوار . وليس الحال كذلك فاللوحة الأولى صورة مائية لريشار بونجتون . ولست أريد أن أقف منها موقف الناقد الفنى ، ولكنى مضطر أن أقرر أنها لا تعبر بحال من الأحوال عن روح الفن الانجليزى، بل هى لا تعطى فكرة صحيحة عن فن راسمها الذى كان بارعاً فى تصوير المناظر العائلية والطبيعية والبحرية ، وكان مع هذا مصوراً بالهاء ومصوراً للحفر ، وكان اشتهر بالتعبير عن مناظر الربيع وغروب الشمس فى البحار ، وصورته المائية المروضة فى المتحف بعيدة عن أن تشعرنا بشيء من فن هذا الرجل . فما بالنا إذا علمنا انه هو لا يعبر إلا عن ناحية ضئيلة من نواحي الفن الانجليزى

وما أقوله هنا عن لوحات الفن الانجليزى المروضة فى متحف الفن الحديث يمكن أن يقال عن لوحات الفن الايطالى أو الفلامندى أو الهولندى وحتى عن لوحات الفن الفرنسى ، بالرغم مما للفن الفرنسى فى هذا المتحف من مكان ممتاز - اذ أن كمية المروض منه تقرب من مجموع معروضات الفنون الأخرى . ولهذا فساخذ مثلاً آخر منه

قد تكون اللوحة الزيتية المروضة للرسام لارجيلير والتي تمثل البارونه دى برايجانس من أكبر لوحات المتحف قيمة . ولنفرض جدلاً أنها تعبر عن كل مواهب هذا الفنان الكبير من دقة رسمه ودرشاقة أجسامه وتوازن ألوانه ، ولا شك أن لارجيلير من كبار مصورى القرن الثامن عشر ، ولكنه من كبار طبقة واحدة من طبقاتهم وهم مصورو الأشخاص ، ولا يعبر إلا عن ناحية واحدة من نواحي الفن الفرنسى فى هذا العصر . وقد لا يستطيع الناظر الى هذه اللوحة بل والى لوحات

هذا الفنان كلها أن يكون فكرة صائبة عن فن هذا العصر وميزاته من تصوير الحياة البشوشة الطروبة الخلافة ، ولا أن يذكر كبار فناني هذا العصر كفاتو أو شاردان أو بوشيه أو كروز أو فراجونار وكم كان لفن التصوير الفرنسى من أطوار واتجاهات فى حياته كلها ، بل وفى كل عصر من عصوره ، وكم سجل تاريخه من أسماء مشهورة فى عالم الفنون ، وكم كان له من أثر على ومن حياة حافلة ، وكم كان اتصاله وثيقاً بالأدب وبالسياسة والتاريخ ، وعبثاً نحاول فى متحف الفن الحديث أن نخرج بدرس واحد فى هذا . واذن فالمقتنيات الفرنسية فى هذا المتحف لا تعبر التعبير المطلوب عن الفن الفرنسى بالرغم مما خصها فيه من عناية ومن مكان ممتاز

ولفى النحت والحفر والفنون الزخرفية ما لفن التصوير من حياة حافلة وتاريخ مجيد ، ومتحف الفن الحديث أشد فقراً فيها ومنتقياته منها أقل تمثيلاً لها من لوحاته لفن التصوير والسبب فى هذا كما ذكرت انه لم تتبع فى مشتريات هذا المتحف سياسة انشائية ترى الى إيجاد حلقة متصلة منها لتمثيل الفنون الأوروبية الى أبعد حد ممكن . ولافتقار هذا المتحف أثر سيء فى تأدية المهمة التى أنشئ لها وفى اضطراب الفكرة التى يكونها الزائر له عن الفن الحديث بعد مشاهدته لمثل المتحف التى ذكرت أمثلة منها

عدم تذوق الجمهور لمروضات المتحف

وأكرر اننى لا آخذ بالنقد هذه المتحف من حيث هى منتجات فنية بل باعتبارها المروضات الوحيدة لمتحف انشئ لتمثيل الفن الحديث ولتربية الذوق الفنى فى مصر . وهنا أذكر فى كثير من الخجل أن قليلاً جداً من هذه المروضات يتفق مع مشارب الجمهور المصرى ، وأن بينها كثيراً من لوحات التصوير والمنحوتات ما قد يصد عن رؤيتها ولا يجب بما فيها من معنى أو جمال ، بل أن كثيراً من المثقفين لا يقدررون القيمة الفنية للوحة (أوجين ايزابيه) التى تمثل عرش هنرى الرابع ، ذلك انها صعبة الفهم ، فلا يدرك هذه القيمة إلا المطلع على أدوار الفنون وتطوراتها والعارف بأسرار صناعتها . بينما هنالك من المتحف ما يسهل فهمها وما يمكن أن يشغف برؤيتها الجمهور المصرى ولست أشك أنه يطرب لرؤية لوحة سلم القصر التى عرضت حديثاً للبيع وهى لنفس الفنان الذى ذكرته .

اهمال منتجات الفن المصرى الحديث

وسبب جوهرى آخر من الأسباب التى تبعد الجمهور المصرى عن هذا المتحف هو أن الناحية

المصرية فيه قد أهملت إهمالا كبيرا . لم يكن المتحف يحوى في عام ١٩٣١ إلا ٢٤ قطعة فنية لفنانين مصريين من مجموع تحفه التي كانت تبلغ ٤٨٥ قطعة ، وإذا كانت هذه قد زيدت ٣٢٠ قطعة في هذه الأعوام الأربعة الأخيرة فلم يكن حظ الفنانين المصريين من هذه الزيادة أكثر من ٣٦ قطعة . وهذه النسبة تكفى للدلالة على أن القائمين بأمر هذا المتحف لم يهتموا الاهتمام الكافى بما يخرج رجال الفن المصريين . وطبيعى أنه يعز على المصرى أن تصرف آلاف الجنيهات على شراء لوحات من الفن الفرنسى مثلا وأن لا يتمدى ماخص رجال الفن المصريين عشرات قليلة من الجنيهات من أموال خصصت لهم وللعمل على نهضتهم الفنية .

ورب قائل إنه لم يكن حينئذ بين معروضات الفنانين المصريين عدداً كبير يستحق الاحتفاظ به فى متحف الفن الحديث . وسأتناول الرد على هذا الاعتراض عندما أطرق أبواب علاج هذا المتحف ووسائل تشجيع الفنانين المصريين

معروضات متحف الفن الحديث لاتأتى اذن بالفرض الذى أنشئ من أجله فهى لا تكفى وحدها لتمثل الفن الحديث تمثيلا منطقياً متصل الحلقات ، معبراً عما كان له من حياة مملوءة بالأفكار السامية ، حافلة بالجمال الرائع ، وأكثرها من جهة ثانية لاتتفق مع مشارب المصريين ، ولا تساعد على تربيتهم الفنية ، وليس لها من أثر الا انصرافهم عن هذا المتحف

تنظيم متحف الفن الحديث

اكتفيت فيما سبق بذكر ثلاثة أسباب من بين الأسباب العديدة التى تعجز متحف الفن الحديث عن أداء الغاية التى أنشئ لها وهى تربية الذوق الفنى من جهة وتمثيل الفن الحديث تمثيلا صحيحا سواء ما اتصل منه بأوروبا وما أخرج منه فى مصر وفى البلاد الشرقية من جهة أخرى أما الفكرة التى أتقدم بها لاصلاح هذا المتحف فهى أن يقسم الى أربعة أقسام وأن يكون لكل قسم سياسة انشائية دقيقة التخطيط حتى يتخذ هذا المتحف فى مستقبل قريب شخصية بارزة ويؤدى الأغراض التى أنشئ لها . ولست أود هنا أن أطرق التفاصيل المادية لتنفيذ هذه الفكرة كإيجاد الدار الخاصة به وتكوين موظفيه وترتيب مكتبته ووضع دليله فلست أعنى هنا إلا بمحتوياته . ومع هذا فأنى أعتقد أن الأموال التى يحتاج اليها المتحف لاصلاحه لاتتعدى كثيرا مخصصاته الحالية فى ميزانية الدولة ، وأنه سيسهل البحث عن من يحتاج اليه من الموظفين الفنيين من المصريين كما أعتقد أن انشاء الدار الصالحة له سوف لا يلقى عقبات كبيرة

القسم الأول : منتجات الفن المصرى الحديث

ستكون لوحات المصريين فى التصوير ومنحوتاتهم الموجودة اليوم بالمتحف نواة صالحة لهذا القسم الذى يجب أن يكون متسماً لأضفاف ما يحتويه الآن . إذ أن نهضة الفنون فى مصر هى أول غاية نرجوها، ووسيلتنا الأولى الى ذلك هى تشجيع رجال الفن فيها

الإكثار من مشتريات هذا القسم

ويجب أن يتناول هذا التشجيع أكبر عدد ممكن من الفنانين وأن لا يختص به النابغون منهم فقد يكون فى مواهب البعض نقص يمكن تهذيبه إذا لم تقطع عنهم باب الأمل ، وقد يكون فى ظروف البعض الآخر السادية ما يوقه عن التفوق اليوم ، وفى مساعدته ما يشجعه على العناية بفنه وبصناعته وما يمهده له سبيل الرقى الفنى

ولا يجوز أن تكون مقتنيات المتحف من معروضات الفنانين المصريين قاصرة على ما تفوق منها فى الصناعة أو الفكرة ، وليس كل ما هو معروض بمتحف اللوفر جديراً بالاعجاب ولا هو كله من اخراج كبار الفنانين

لهذا فيجب أن يكون للسياسة الانشائية لهذا القسم مبدآن أولهما تشجيع رجال الفن المصريين بشراء أكبر عدد ممكن من منتجات أفكارهم . وثانيهما انتقاء الفائق منها لعرضه أمام الجمهور المصرى إذ أن الفكرة الحديثة فى تنظيم المتاحف هى أن تقسم الى قسمين : صالات العرض وصالات الحفظ والدراسة

المتحف المعدة للعرض

وإذن فسينتقى من مشتريات هذا القسم ما يمكن أن يمثل الفن المصرى الحديث أفضل تمثيل بما فيه من أسلوب بديع أو فكرة عالية أو تعبير رقيق ، ثم تعد هذه المنتقيات للعرض فى غرف المتحف الخاصة بالفن المصرى .

ويجب أن تراعى الاتجاهات الفنية أو الحقائق التاريخية فى تنسيق هذه التحف فيكون هنالك توازن وصلة بين معروضات الغرفة الواحدة ، كما يجب أن تخصص إحدى هذه الغرف للفائق من تحف

الفنانين المصريين ، على أن لا يدخلها من تلك إلا ما كان قد عرض أعواماً متتالية في الغرف الأخرى ، وأجمع النقاد على مكانته السامية في الفن المصرى

ما يعد من مشتريات هذا القسم للحفظ

أما المقتنيات الأخرى فسيحفظ بها كوثائق فنية تاريخية ، إذ من الواجب أن نحفظ لتاريخنا الفنى بكل حقائقه، البديع منها وغير البديع . إذ قد يكون الذين وكل إليهم أمر انتقاء التحف قد أخطأوا التقدير فيكون فيما أعدوه للعرض ما لا يستحق هذه الميزة ، كما قد يكون فيما أعدوه للحفظ ما هو جدير بالاعجاب . وقد يكون فيما أعد للحفظ أيضاً تحف لرجال من الفن في المرحلة الأولى من حياتهم . وقد يُبرز أحدهم في فنه فتكون لتحفه هذه في المستقبل قيمة كبيرة ليست لها اليوم . ويحدثنا التاريخ عن رجال كثير من أصحاب الفن ماتوا مجهولين وكان انتاجهم يباع بضع بنحس ، ثم أظهرت الأيام عظيم مقدرتهم ورفيع فنه فارتفعت قيمتها وندر تداولها في الأسواق . وما يدرينا أن يكون من بين فنانينا اليوم من يصل يوماً إلى مرتبة العبقرين ، بل هذا مانسعى إليه ونرجو تحقيقه وواجب علينا أن نعد العدة له .

ما يعار منها للعرض في المصالح الحكومية

وحتى لا تكتظ صالات المتحف ومخازنه بمثل هذه القطع الفنية يمكن أن ينتقى منها ما يجوز الاستغناء وقتياً عنه فيعار الى مصالح الدولة المختلفة كأمانات تزين بها غرف الوزراء وكبار الموظفين ومكاتب المدارس وصالات محاضرات الجامعة إلى غير ذلك مما من شأنه أن يشجع رجال الفن ويروج العناية إلى الفن المصرى الحديث .

والذى أعتقد أنه سيكون لهذا القسم بفروعه الثلاثة مجتمة أكبر أثر في نهضتنا الفنية الحديثة وفي نهضة رجال الفن في مصر . ولا أغالى إذا قلت إنه يجب أن ينحصر لهذا البسبب من ميزانية المتحف الحديث ما لا يقل سنوياً عن ألفين من الجنيهات .

القسم الثانى : مقتنيات المستشرقين من رجال الفهم (Les Orientalistes)

أما القسم الثانى فسيكون مختصاً برجال الفن من المستشرقين .

قامت في أوائل القرن التاسع عشر في أوروبا وفي فرنسا خاصة حركة فنية متأثرة بالشرق : طبيعته ، وعاداته ، وفنونه القديمة ، ونشأت عنها جماعة من المصورين أطلق عليهم اسم المستشرقين . ثم قُرت هذه الحركة مدة ما ولسكنها استيقظت بنشاط أكبر في هذه السنين الأخيرة .

وواجب أن يكون في متحف الفن الحديث في مصر قسم خاص يذكر الجمهور المصري من جهة ، والفنان المصري خاصة ، والزائر الأجنبي من جهة أخرى ، كيف كانت لشمس مصر ولطبيعتها وآثارها وتاريخها أثر ما على تفكير المصورين ، وبأية صورة عبر الأجانب عنها في فنونهم ، وكيف أنه كان للشرق وللبلاد الإسلامية بنوع خاص أثر كبير في نشأة هذه الحركة الجديدة في الفن الحديث .

ولهذا فيجب على القائمين بالأمر في هذا المتحف أن يرقبوا عن كثب كل اللوحات التي ستقدم للبيع في أسواق المزاد الفنية في أوروبا وفي أمريكا - وهذه الأسواق نشرات خاصة وأدلة مصورة تنشر قبل البيع بمدة طويلة - ثم ينتقى منها ما قد يكون مقدماً للبيع من لوحات المستشرقين وتخابر وزارة الخارجية في انتداب أحد موظفي قنصلياتنا في الخارج للتقدم لشرائها مصحوباً بأحد الأخصائيين في الفن هناك .

هذا فيما يتعلق بالمستشرقين من فناني القرن التاسع عشر ولوحاتهم المطروحة للبيع نادرة جداً ، وقد يمر العام دون أن تذكر نشرات البيع شيئاً عن أحداها ، ولهذا فسوف لا تثقل المهمة التي قد تكلف بها وزارة الخارجية ، ومن جهة أخرى فستمر أعوام طوال قبل أن تتسكون في المتحف مجموعة قيمة من هذه اللوحات ، وطبيعياً أن الباب الذي سيخصص لها في ميزانية المتحف سيكون ضئيلاً نسبياً

منتجات المستشرقين المعاصرين

أما فيما يتعلق بالمستشرقين المعاصرين فلوحاتهم عديدة ، ولجامعتهم في كل عام معرض خاص ، ومنهم من يعرض أيضاً في معارض باريس العامة . ومن السهل أن ينتقى من معروضاتهم ما هو أقرب اتصالاً بمصر أو ماله قيمة فنية بارزة . وهكذا تتكون المجموعة الثانية للمتحف بتقديم مستمر حتى تصبح يوماً من الأيام مجموعة وحيدة ونادرة بين متاحف العالم ، ويكون لها في مصر شأن خاص ، لأنها تجمع بين التعبير الفني الأوروبي وبين الفكرة الشرقية المصرية .

ويجب أن لا تنمى مخصصات هذا القسم الثاني بيايه من ميزانية المتحف نصف ما هو مقرر للقسم الأول أو ألفاً واحداً من الجنيهات لأن القسم الثالث سيحتاج إلى مصروفات كبيرة .

القسم الثالث : تمثيل الفن الأوروبي

صعوبة الوصول الى هذه الطريقة المتبعة

أود لهذا القسم الثالث أن يعبر أفضل تعبير عن الفن الأوروبي الحديث. وقد أثبت فيما سبق به القول أن معروضات المتحف الحالية لا تكفي للتعبير عن الفن الأوروبي ، وضربت أمثلة لذلك عن صور ثمينة منها .

والواقع أن الحال أسوأ مما صورته ، إذ أن أكثر أصحاب معروضات المتحف فنانون من الطبقة الثالثة وكثير منهم من الطبقة المجهولة . وعيناً نحاول أن نتخذ من انتاج هؤلاء نماذج من الفن الأوروبي نقدمها إلى الجمهور المصري المثقف وغير المثقف . ولعل معترضاً على ذلك يقول ان هذه المعروضات انتقيت من خير ما كان معروضاً للبيع في أسواق أوروبا الفنية ، وفي حدود الأموال المخصصة لمشتريات المتحف . وردى على ذلك أنه ليست الغاية من انشاء متحف الفن الحديث أن تكس فيه صور للفن الأوروبي بل أن يكون هذا الفن ممثلاً فيه تمثيلاً صادقا . وإذا قيل إن الحالة المالية لم تسمح بأكثر من ذلك فأرد على هذا بأنه مهما صرف بسخاء على مشتريات المتحف بالطريقة التي اتبعت إلى اليوم ومهما ضوعفت مخصصاته في ميزانية الدولة ، فإن تستطيع إدارة الفنون الجميلة أن تكون في هذا المتحف مجموعة صادقة التعبير عن الفن الأوروبي . لأن هذا يتطلب منها أن ترقب بعناية وتدقيق كل حركات البيع في المعارض والأسواق في جميع بلاد أوروبا وأمريكا ، ويوجب عليها أن يكون لها مندوب أو مندوبون في كل منها مخصصون للبحث عن أفضل ما يعرض للبيع من التحف الجديرة بتمثيل الفن الأوروبي .

تحقيقها رهن بالظروف

وان افترضنا أنه من الجائز أن تعرض اليوم للبيع لوحات لفنان مثل كوروه (Corot) ، وأنه يمكن للمتحف أن يقتنى واحدة منها فتمثل فيه ناحية من نواحي الفن وهي الحساسية (Impressionisme) ، وعصرآ من عصوره وهو النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، فليس هنالك ما يدلنا على أنه ستعرض للبيع قريباً أو بعيداً لوحات تمثل ناحية أخرى كالناحية التخيلية (Romantisme) أو عصرآ آخر كالنصف الأول للقرن التاسع عشر ، فإذا سد نقص فستبقى نفائض عديدة غير مسدودة ، وسيتبقى اكال مجموعة المتحف رهنآ بالظروف

ولكنى سأذهب في الافتراض إلى أبعد من هذا وأنصور ان البحث في أسواق العالم الفنية سيوصل ادارة الفنون ومندوبيها إلى تكوين المجموعة الرفيعة التي أتمناها لمتحف الفن الحديث من آثار رجال الفن الأوروبي .

وان يكن هذا الافتراض خيالياً محضاً - اذ أنه ينذر أن تعرض في الأسواق منتجات كبار الفنانين في المصور الماضية ، لأن المتاحف الأوروبية والأمريكية استحوذت على أكثرها عدداً وأفضلها تمثيلاً لفنهم ، ولم يبق في حوزة كبار الهواة والأغنياء إلا عدد ضئيل منها - فلنفترض مع كل هذا ان هذا العدد الضئيل عرض كله للبيع ، وان ادارة الفنون نجحت في شراء أكثره تحقيقاً للغاية التي وضع لها المتحف ، واذن فيجب أن تقدر ماستتحمله في نظير ذلك من النفقات . ويكفي أن انفت النظر الى القسم الخاص بالبيع من أية مجلة من مجلات الفنون الجميلة

فداحة المبالغ التي يتطلبها تنفيذ السياسة الحالية

لم أشأ أن أزيد البحث في هذا الباب فأخرجت من مجلة Beaux - Arts لسنة ١٩٣١ بيانات أدلى بها فيما يلي : -

كان للسكولونيل أمبروز مونيل Colonel Ambrose Monell مجموعة فنية عرضت للبيع في نيويورك في ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٣٠

وكان من بينها لوحة خشبية للمصور الهولندي رامبرانت Rembrandt وضعت سنة ١٦٣٥ بيعت بمبلغ ١٨٧٥٠٠٠ فرنك أي ما يقرب من خمسة وعشرين ألفاً من الجنيهات

وكان من بينها لوحة للمصور الانجليزي رينولدز Reynolds صورت سنة ١٧٧٣ بيعت بمبلغ ٧٧٥٠٠٠ فرنك أي ما يزيد على عشرة آلاف من الجنيهات

ولوحة للمصور الانجليزي وليام تيرنر Turner صورت في سنة ١٨٣٤ بيعت بمبلغ ٥٧٥٠٠٠ فرنك أي ما يزيد على سبعة آلاف من الجنيهات

وبيعت مجموعة أخرى في باريس لأحد كبار هواة الفنون يوم ١٥ مايو سنة ١٩٣١ كان من بينها لوحة للمصور الفرنسي كوروه Corot بيعت بمبلغ ٢٥٨٠٠٠ فرنك أي ما يزيد على ثلاثة آلاف من الجنيهات

وفي ٢١ مايو سنة ١٩٣١ بيعت مجموعة أخرى في باريس كان من بينها لوحة للمصور الفرنسي دجاس Degas بلغ ثمنها ١٠٦٠٠٠ فرنك أي ما يزيد على ألف وثلثمائة جنيه

ولعل مثلاً من أفضل الأمثال التي يصح ذكرها هنا هو هذه المجموعة القيمة التي كان يمكن أن

يفخر متحف من المتاحف الكبيرة بحيازتها والتي وزعت في ميونيخ في ١٦ يونيو سنة ١٩٣١
كان من بينها لوحة خشبية للمصور الايطالى فرا انجيليكو Fra Angelico (حوالى سنة
١٤٤٠) بيعت بمبلغ ٦٠٠.٠٠٠ فرنك أى ما يزيد على سبعة آلاف وخمسمائة جنيه
وكان من بينها لوحة خشبية للمصور الايطالى فيليبو لىبي Filippo Lippi (سنة ١٤٦٨)
بيعت بمبلغ ٥٨٨.٠٠٠ فرنك أى ما يقرب من سبعة آلاف وخمسمائة جنيه
وكان من بينها رسم للمصور الايطالى تيبولو T. - B. Tiepolo (سنة ١٧٦٢) بيعت بمبلغ
٣٤٢.٠٠٠ فرنك أى ما يزيد على أربعة آلاف من الجنيهات
وكان من بينها لوحة للمصور الفلامندى فراز هالس Frans Hals (سنة ١٦٤٠) بيعت
بمبلغ ٥١٦.٠٠٠ فرنك أى ما يقرب من ستة آلاف وخمسمائة جنيه
وكان من بينها لوحة للمصور الاسبانى الجريكو El - Greco (حوالى سنة ١٥٨٠) بيعت
بمبلغ ١.٦٥٠.٠٠٠ فرنك أى ما يزيد على عشرين ألفاً من الجنيهات
وكان من بينها لوحة للمصور الهولندى رمبراندت Rembrandt (حوالى سنة ١٦٤٠)
بيعت بمبلغ ٢.٠١٠.٠٠٠ فرنك أى ما يزيد على خمسة وعشرين ألفاً من الجنيهات
ولوحة أخرى لنفس المصور بيعت بمبلغ ٤٨٠.٠٠٠ فرنك أى ما يزيد على ستة آلاف
من الجنيهات .
هذه سبعة لوحات جديرة بتمثيل عبقرية فنانها وفن بلادهم فى المصور التى عاشوا فيها يبلغ
ثمانها وستة وسبعين ألفاً من الجنيهات ، أى ما يستنفد كل مخصصات المتحف فى ميزانية الدولة
لدة إحدى عشرة سنة ، ولكن كم يحتاج متحف الفن الحديث إلى أضعاف أمثال هذا المبلغ لتكوين
مجموعته ؟

فروع القسم الثالث

وجسامة المبالغ التى يجب تخصيصها لمتحف الفن الحديث إذا أريد حقاً أن تمثل محتوياته نواحي
الفن الأوروبى تمثيلاً مقبولاً تجملنى أفكار فى وسيلة أخرى لتحقيق هذه الغاية ، فأقدم بالقسم الثالث
لتنظيم متحف الفن الحديث

وهذا القسم يتكون من ثلاثة فروع :

أولاً - متحف للتصوير المنقول Copies de Tableaux

ثانياً - متحف للنماذج المصبوبة Moulages

ثالثاً - مكتبة للصور الفوتوغرافية Pholotèque

أولاً - متحف الصور المنقولة

إذا كان من المستحيل اليوم شراء لوحة من لوحات الفنان النابغة ليوناردو دى فنشى ، إذ أن القليل الذى تبقى منها محتفظ به فى بعض متاحف العالم ، ولو أن لوحة كتلك التى تمثل الجوكونده طرحت للبيع لأربت قيمتها بكثير على مائتى ألف من الجنيهات، فمن السهل بالعكس نظير مائة واحدة من الجنيهات أو أقل من هذا أن تقتنى صورة منقولة متقنة عن هذه اللوحة وبحجمها الأصلى .

الاعتراض على هذه الفكرة

ولا شك أن أية صورة منقولة ، مهما بلغت درجة نقلها من الاتقان ، ستنقصها دائماً الروح التى بثها مبتكر اللوحة النموذجية فى تصويره، وستنقصها طبيعة الرسم التى لازمتها ، وزهاء الألوان التى جمها فيها ، وستنقصها تلك الحياة الطويلة التى عاشتها ، والجو الخاص الذى أحاط بها ، وسيكون الناقد الفنى والمشاهد قاسيين فى الحكم عليها لأنها تخلو من الشخصية التى تبرز معها اللوحة الأصلية وسيتمرض كثير من رجال الفن على فكرة تغذية متحف الفن الحديث بصور منقولة . وأنا أعترض مع المعترضين على هذه الفكرة لو أنه أريد بمتحف الفن الحديث أن يبقى على الحال التى هو عليها كمرص دائم لقطع فنية حديثة منعدمة الاتصال . ولكن الغاية السامية التى يرجى أن يحققها هذا المتحف ، وهى تهذيب ذوق الجمهور المصرى وثقافته الفنى ، يحملنى على تقديم هذا الاقتراح

الناحية التهذيبية لهذه الفكرة

فى سبيل تحقيق هذه الغاية يقف الناقد الفنى موقف المربي ، فلا يحكم على الصورة المنقولة باعتبار العوامل التاريخية والفنية ، ويتغاضى عما يكون فيها من نقائص ، لأنه ينظر إليها نظرة الداعى الى العلم لا الفيور على الفن

يستعين جميع أساتذة الفنون فى جميع مدارس التعليم وجامعات العالم بالصور الفوتوغرافية على تدريس نواحي الفنون العديدة وتاريخها ، ويقفون أمام هذه الصور بين تلامذتهم موقفهم أمام أصولها ، يذكرون ما قد يكون فى منها من جمال ، أو فى رسمها من رشاقة ، أو فى فكرتها من نقاوة ، أو فى

وضمها من مهارة ، أو ينتقدون ماقد يكون في كل هذا من نقص ، ويفلحون في إشراك تلامذتهم معهم في الإعجاب وفي النقد

ولا شك أن الصور المنقولة الملونة أفضل بكثير من الصور الفوتوغرافية الصغيرة ، وإذا كانت هذه تعبر عن ناحية واحدة من نواحي الصور الأصلية فتلك تعبر عن نواح عديدة ويكفي أن أذكر مثلاً على قبول الاستعانة بالصور المنقولة في التربية والتأهيل الفني أن المدرسة العليا للفنون الجميلة بباريز وهي من أرقى المدارس الفنية في العالم وأشهرها ، تحتوي على متحف للصور المنقولة عن لوحات المصورين المشهورين ، وهذا المتحف هو أكبر معين للطلبة في دراستهم الفنية ، بالرغم مما هم عليه من درجة الثقافة الفنية العالية ، وبالرغم من أن مدرستهم تتجاوز أغنى متاحف العالم في فن التصوير وهو متحف اللوفر

اتقان الصور المنقولة

ومع هذا فن الصور المنقولة ما هو خالي من الإعجاب ، ونقل الصور فن يختص به عدد قليل من المصورين ، ومنهم من يكرس حياته الفنية على التخصص في نقل صور للوحة واحدة ، ومنهم من يتقن هذا النقل حتى لا تكاد الصورة المنقولة تبتعد في مظهرها وفنها عن لوحتها النموذجية فمن الممكن إذن أن تنتقى من متاحف أوروبا مجموعة من خمسين لوحة مثلاً لأشهر المصورين ومن أصدقها تعبيراً عن أطوار فن التصوير ومواطنه ، وتشتري لها صور منقولة ، أو يكاف بمثلها فنانون من الخارج ، أو ينتدب في بعثات لأداء قسم من هذه المهمة بعض المتفوقين من المصورين المصريين ، ففي ذلك نوع من تشجيعهم ، ويكون البعض من اللوحات المنقولة بحجم اللوحات الأصلية والبعض الآخر بحجم مصغر

وهكذا يتاح للجمهور المصري وللفنانين المصريين الاطلاع على نماذج من الفن الأوروبي ودراسة نواحيه الهامة واتجاهاته

تكوين مجموعة هذا القسم من المتحف

ولهذا فيجب أن تنتقى مجموعة الصور المنقولة بحيث تكون جميع نواحي الفنون ممثلة بينها بنسب صحيحة ، فلا يراعى في اختيار الصور فن دون آخر ، ولا تفضل لوحات متحف عن لوحات متحف ثان ، إذ يجب أن تكون الوقائع التاريخية والمزايا الفنية هي وحدها الرائد في هذا الاختيار

مثل في منتجات الفن الاسباني

ليكن الفن الاسباني مثلاً أضربه لذلك . فلنفترض اننا جمعنا في غرفة واحدة جميلة التنسيق مجموعة لأشهر المصورين الأسبان في حياتهم المختلفة ، فانتقينا للجريكو El - Greco الذي عاش في النصف الثاني للقرن السادس عشر صورته التي تمثل المسيح حاملاً الصليب ، الموجودة بمتحف البرادو بمدريد

وانتقينا من نفس المتحف لوحة للمصور ريبيرا Ribera الذي عاش في النصف الأول للقرن السابع عشر تمثل تعذيب القديس برتليمي

ومن متحف اللوفر صورة أخرى لنفس المصور تمثل الطفل ذا القدم المموجة ومن متحف البرادو صورة الراهب المتعبد للفنان زورباران Zurbaran (١٥٩٨ - ١٦٦٢)

ومن المتحف البريطاني صورة للفنان نفسه تمثل القديسة مرجريت وانتقينا صورة الطفل المتسول للفنان موريليو Murillo (١٦١٧ - ١٦٨٢) بمتحف اللوفر

وصورة الراعي المقدس للفنان نفسه بهذا المتحف أيضاً ولوحة ابن الملك بلتازار كارلوس للفنان فلاسكين Velasquez (١٥٩٩ - ١٦٦٠) بمتحف البرادو

وتفصيلاً من صورة الأطفال ثم صورة شاربي الخمر للفنان نفسه بهذا المتحف أيضاً وصورة السيدة المسكنسية للفنان الكبير جويا Goya (١٧٤٦ - ١٨٢٨) بمتحف البرادو وصورتى إيزابيل بورديل دي كولروس وبجزة شهر مايو لهذا الفنان أيضاً ، الأولى بالمتحف البريطاني والثانية بمتحف البرادو

وأخيراً صورتين أحدهما للفنان زولواجا Zuloaga تمثل ليلة مصارعة الثيران بمتحف بروكسل والثانية للفنان سورولاي باستيرا Sorollay Bastida تمثل العودة من الصيد بمتحف الجيه ده بوم Jeu de Paume . يباريز . وكلا هذين الفنانين عاشا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

أعتقد أن في هذه الخمس عشرة صورة ما يكفي للتعبير عن ميزات فن التصوير الاسباني الحديث وعن قيمة مصوريه المشهورين . ومثل هذه اللوحات تكفي لأن تلقى درساً واضحاً فيما كانت عليه الحياة الاجتماعية في اسبانيا وفيما هي عليه الآن ، وما كان عليه الأشراف والقسس من البذخ والرخاء ، وما كانت عليه طبقات الشعب الأخرى من البؤس والشقاء . وهي تعبر لنا عما كان للنمرة الدينية من

الأثر العميق في هذه الحياة وفي فن هذه الأمة ، وكيف كان الفن صادقاً في تصويره للحقيقة حتى في أشد قسوتها ، وللطبيعة حتى في أكثر نشاطها ، وهي تدلنا على العبقرية التي أوصلت مثل فلاسكين إلى أن يكون من أمهر مصوري الانسان ، ومن أقربهم الى الطبيعة ، ومن أرقهم في تلوين البشرة وفي اظهار رونق الملابس . وليس في كتب التاريخ صفحة أصدق تعبيراً من لوحات هذا المصور عن الحياة الملكية في اسبانيا في عصر فيليب الرابع

ويعر الزائر على آثار الفن الايطالى والفلامندى والهولندى والفرنسى والألماني والانجليزى والسويسرى، ويخرج منها بمثل ما خرج به بعد زورته غرفة الفن الاسباني، من دروس في التاريخ وفي الفن مستميناً بديل ايضاحي للمتحف وبما تحمله كل لوحة من بيان لتاريخها ولموضوعها ، ومن شرح يوجهه الى مافيه من فن وفكرة وجمال

ثانياً - متحف النماذج المصبوبة ودواعي الأخذ بهذه الفكرة

أما الفرع الثاني للقسم الثالث من المتحف الذي اقترح انشاءه فقد لا أكون في حاجة الى اطالة شرح فائدته ، اذ لا تخلو جامعة من جامعات العالم من متحف للقوالب المصبوبة عن آثار فن النحت في المصور المختلفة

ويكفي أن نعرف أن أكثر تماثيل الأغريق قد اندثرت ، ولكننا نقدر ما كانت عليه من جمال وابداع عن القوالب التي صبها الرومان من أصول هذه التماثيل ، ويكفي أن نعرف انه كان للقوالب المصبوبة التي أحضرها فرانسوا الأول الى فرنسا في أوائل عهد الاحياء أثر كبير في النهضة الفنية في فرانسوا حينئذ ، ويكفي أن نعرف أن متحف التروكاديرو للقوالب المصبوبة هو من أكثر متاحف باريز أهمية ومن أشدها أثراً في التربية الفنية

والقوالب المصبوبة بعناية من التماثيل ومن اللوحات المنحوتة تبلغ من دقة مضاهاتها لأصولها بحيث لا يمكن أحياناً التفريق بين هذه وتلك إلا من حيث مادتهما ، بل انه أحياناً أخرى تفضل رؤية القالب المصبوب عن رؤية نموذج ، اذا كان هذا محتفظاً به في جهة لا يدخل اليها النور وافرأ كتمثال في داخل كنيسة مثلاً ، أو لا يصل اليها النظر بسهولة كالوحة منحوتة في جزء مرتفع من واجهة بناء أو معبد

سهولة اقتناء مجموعة هذا القسم

فاذا اقتنى لهذا الفرع من متحف الفن الحديث خمسمائة تمثال ولوحة من أشهر ما نحت في الفن الأوروبي لتكونت من ذلك مجموعة صادقة وبلغة عن فن النحت في عصوره المختلفة. ولما كان لكل متحف من متاحف العالم الشهيرة معمل خاص لصب القوالب عن المنحوتات القيمة المحتفظ بها فيه فسيسهل اقتناء هذه المجموعة بغير كبير عناء ، مع العلم بأن معمل المتاحف الأهلية في باريس - الموجود بمتحف التروكادبرو- يعرض للبيع مجموعة ثمينة من أكثر من خمسة آلاف قالب عن أشهر منحوتات العالم في جميع الدول وفي العصور المختلفة ، وفي هذه المجموعة ما يغني عن البحث عن نظيراتها في المعامل الأخرى

ثالثاً - معرض الصور الفوتوغرافية

إذا كان ما أسلفت بيانه من إيجاد متحف للصور المنقولة وآخر للقوالب المصبوبة كافياً لرواج فكرة صائبة عن الفن الأوروبي وتطوراته ، وإذا كان في مجموع محتوياتهما ما يكفي لتغذية الجمهور المصري تغذية فنية ، فإن هنالك باب آخر لزيادة ثقافته من هذه الناحية وهو انشاء معرض من الصور الفوتوغرافية . إذ أن من الآثار الفنية ما لا يقبل النقل ولا الصب كاللبنان والرسومات والحفائر والتحف الزخرفية والصناعية كالأواني والأقنعة والأثاث وغير ذلك . وإنه ليحسن أن تهياً للجمهور المصري وسيلة للاطلاع على صور أهم هذه الآثار الفنية وتفصيلها . ثم انه مهما اتسع المتحف الذي اقترح انشاءه للوحات منقولة ولتماثيل مصبوبة ، فهناك أضعاف ما يحتويه من آثار كبار رجال الفن المشهورين مما هو جدير بعرضه في مصر . وهنا يصح أن تنتقى منه لسد هذا النقص مجموعة في عشرة آلاف صورة فوتوغرافية من الحجم الكبير (٤٠ سم في ٥٠ سم)

ومن المعلوم أن جميع متاحف العالم تشرف على اخراج صور فوتوغرافية ملونة لأشهر لوحاتها وأخرى عادية لمنحوتاتها وقطعها الفنية وتعرضها للبيع . كما أن مكاتب خاصة في باريس وبرلين ولندره وفي مدن إيطاليا تقوم بمثل هذه المهمة . وإذن فمن السهل أن تنتقى من مجموعات هذه المتاحف والمكاتب ما يمثل منها أكثر التحف شهرة وأتمها تعبيراً عن الفنون الأوروبية لتتكون منها مجموعة متحف الفن الحديث

وترتب هذه المجموعة حسب الفنون والعصور والدول المختلفة ترتيباً يسهل به مراجعتها وتوضيح

كل صورة منها في إطار خشبي حتى لا تتلف ثم تجمع بطريقة خاصة متبعة في متاحف أوروبا ومكاتبها فلا يمل المطلع عليها تصفحها أو الامعان فيها .

ما يتطلبه القسم الثالث من النفقات

يتم بالفروع الثلاثة التي ذكرتها تكوين القسم الثالث لمتحف الفن الحديث الخاص بتمثيل الفن الأوروبي وتزداد الفائدة المرجوة منه كلما أسرع في تكوين المجموعات الثلاثة التي ذكرت مجمل محتوياتها . ويستلزم ذلك من الأموال ما يقرب من الأربعين ألفاً من الجنيهات ، إذا افترضنا أن نفقات نقل الخمائة لوحة خمسة وعشرون ألفاً من الجنيهات باعتبار أن نفقات نقل الصورة الواحدة سيتراوح بين عشرة جنيهات وخمسمائة جنيهه ، وأن متوسط قيمة الواحدة منها خمسون جنيهاً . وإذا افترضنا أن نفقات صب الخمائة قالب عشرة آلاف من الجنيهات باعتبار متوسط ثمن الواحد منها عشرين جنيهاً وستتراوح نفقات صبها بين جنيهين اثنين وأربعمائة جنيهه . أما الصور الفوتوغرافية فلن تعدى قيمة العشرة آلاف صورة منها خمسة آلاف من الجنيهات

توزيع هذه النفقات على خمسة أعوام

ولما كانت مخصصات المتحف لا تزيد هذا العام على سبعة آلاف من الجنيهات ، ولما كنت اقترحت فيما سبق أن يخصص منها ثلاثة آلاف من الجنيهات للقسمين الأول والثاني ، فإن كان لا يمكن زيادة هذه المخصصات لا في هذا العام ولا في السنين المقبلة فسيستلزم إتمام تكوين القسم الثالث عشرة أعوام إذا أريد أن يخصص له المبلغ الباقي . ولا شك أن مدة هذا الإنشاء طويلة يخشى إن أقدمت إدارة الفنون الجميلة على القيام بها اليوم أن ينتابها تغيير في المستقبل فلا يتم تنفيذ مثل هذا المشروع على الوجه الذي بدى به . ولست أعتقد من العسير أن تزداد هذه المخصصات أربعة آلاف من الجنيهات سنوياً فيتم تنفيذ مثل هذا المشروع في خمسة أعوام ، وهي مدة مقبولة خصوصاً وإن انجاز نقل اللوحات وصب القوالب غير الجاهزة للبيع سيتطلب عامين أو ثلاثة .

وإذا كان لإنشاء هذا القسم من المتحف سيتطلب أموالاً إضافية في السنين الأولى فستتخفص مخصصات هذا القسم بدرجة كبرى بعد إتمام تكوين مجموعاته الثلاث وحينئذ يمكن أن يخصص له فقط خمسمائة أو ألف من الجنيهات لتنفيذه أو إصلاحه حسب ما تتطلبه الظروف أو تسمح به الأحوال .

واذن فيمكن أن يخصص المبلغ الباقي أى الثلاثة آلاف جنيهه للقسم الرابع

القسم الرابع : منتجات المعاصرين من رجال الفن الاوروبى

سيشمل القسم الرابع محتويات المتحف الحالية من عمل الفنانين الأجانب . إذ يجب أن تكون لمتحف الفن الحديث صفتان قويتان : الأولى مصرية بحتة والثانية دولية عامة. وقد شرحت في القسم الثالث رأيي عن ناحية من هذه الصبغة الدولية وهي الناحية التاريخية . وبقيت ناحية ثانية وهي اتجاه الفن المعاصر . وفي هذه الدائرة - دائرة رجال الفن المعاصرين دون الأقدمين من الأجانب في أوروبا وفي مصر - أرى أن ينحصر شراء المتحف الأصيلة على أن يعنى في انتقائها أن تعبر عن اتجاهات الفن المعاصر المختلفة ، وأن تشمل مختارات مشهورى رجال الفن من جميع البلاد الأوروبية . وإذا لم يكن يسيراً زيادة مخصصات المتحف في هذه الأعوام المقبلة فإنه يمكن إيقاف مشتريات هذا القسم حتى يتم تكوين مجموعات القسم الثالث . وبهذا يمكن التوفيق ، فيما أعتقد ، بين الماضى والحاضر وبين الناحية المصرية والناحية الأوروبية. ويهياً المتحف إلى تحقيق الغاية التى أنشئ من أجلها وهي تربية الذوق الفنى فى مصر وتمثيل الفن الحديث تمثيلاً شاملاً كل نواحيه واتجاهاته ، وتكون له من قسميه الأول والثانى شخصية بارزة بين متاحف العالم .

المدرسة العليا للفنون الجميلة

ذكرت في تمهيد هذه النبذة كيف أن الساطة الفعلية لإدارة الفنون الجميلة تنحصر في إدارة الأوبرا ومتحف الفن الحديث والمدرسة العليا للفنون الجميلة . وتقدمت برأى فيما أراه محققاً للفرض الذى من أجله أنشئ متحف الفن الحديث ، وأود هنا أن أطرق باباً من أبواب إصلاح المدرسة العليا للفنون الجميلة . ولست أبغى أن أتناول بالبحث عدم صلاحية بناء هذه المدرسة وأثاثها ونقص معداتها فإن الذى يعنينى هنا أهم من ذلك وأدخل فيما أنا بسبيله وهو حالة طلبتها ودرجة ثقافتهم الفنية .

سوء حال الطلبة ونقص تربيتهم الفنية

من المؤلم حقاً أن معظم طلبة هذه المدرسة لا يزالون بميدى عن التفكير الفنى ولا يمكن - وهم بهذه المثابة - أن تتحقق بهم الآمال التى عقدت عليهم حين ضمت هذه المدرسة إلى إدارة الفنون الجميلة .

وإذا كان كثير منهم قد بلغ في صناعته درجة من الرقي ، فإن عدداً قليلاً منهم على استعداد لتفهم الفن بمعناه الحقيقي السامى .

انعدام الصلة الفنية بين أقسام المدرسة

دلى اختبارى لهؤلاء الطلبة أنه يندر من بينهم من يقدر للفن معناه ، وقليل منهم من يرغب فى الفن للفن ، فجلبهم - إن لم يكن كلهم - يتخذونه صناعةً ووسيلةً الى وظيفة من الوظائف الحكومية . وأكبر دليل على ذلك أن طلبة كل قسم من أقسام المدرسة يكرهون أن يشتركوا فى العمل مع القسم الآخر ، فطلبة فن العمارة مثلاً ينظرون بشئ من الازدراء الى طلبة الأقسام الأخرى ، وأعلى الأقل ينظرون إليهم نظرة لا تخلو من الاستعلاء والكبرياء . ويجهل طلبة كل قسم من أقسام هذه المدرسة الأربعة أصول فنون الأقسام الأخرى ، فلا طلبة الهندسة المعمارية يقدرون مالفن التصوير من أثر وما لصناعته من أصول ، ولا طلبة قسم النحت يعرفون البسيط من مبادئ فن الحفر . وهذا يدل على انعدام الصلة بين هذه الأقسام وعلى تأخر ثقافة الطلبة الفنية ، وبدل أيضاً على أن هناك مجالاً لاصلاح برامج الدراسة فى هذه المدرسة ، ولكنى لا أطرق مثل هذا الموضوع فخرات زملائي المدرسين أحق منى بتقديم اقتراحاتهم فى ذلك ، وليس لى أن أندخل فيما يعنى حضراتهم مباشرة .

سوء تقدير الطلبة لمعانى الفن السامية

ومما هو أدعى الى الأسف أن الطلبة لا يدركون مهنتهم الادراك الفنى الكافى ، وأن الفكرة الفنية كما أشرت اليها تكاد تكون منعدمة فيهم . اذ ليس فن التصوير مثلاً عبارة عن قواعد فى الرسم وطرق فى اختيار الألوان ومزجها ، بل هو أكثر من هذا ، هو تعبير سام للحياة وللخيال ، هو فكرة يسخر لتحقيقها القلم والريشة والرسم والألوان . ولا شك أن هذه الفكرة لا تسمو الا بالثقافة العالية وبالتفكير الواسع الشامل لأجزاء الحياة ونواحيها

نقص ثقافتهم

ولكن الطلبة لا يعمون فى مدرستهم إلا بالصناعة ، ولا يتمهدون ثقافتهم بالتنذية وأفكارهم بالتهذيب . ولست أعالى حين أقرر أن من بين هؤلاء من لا يفرق فى التاريخ بين العصور القديمة والعصور الوسطى ، ومما يدعو الى الحجل أن يكون من بين طلبة قسم العمارة من لا يميز بين الطراز

الدوريكي والطراز الكورنتي ، وهما من المبادئ الأولية في تاريخ الفنون ، ولست أعتقد أنه يرجى من طلبة هذا شأنهم أن ينهضوا نهضة مباركة بالفنون في مصر

أسباب هذه الحالة السيئة ووسائل علاجها

ولست في حاجة الى الافاضة في شرح هذا الحال ، فقد آمن به كل مطلع على شئون هذه المدرسة ، وإذا كان من المتفق عليه أن هذا يرجع أكثر الى النظام الذي كان متبعاً للالتحاق بهذه المدرسة ، وأن هذا النظام قد أصلح من شأنه ، وزادت العناية بانتقاء الطلبة المتحققين بالمدرسة ، إلا أنني أعتقد أن هناك أسباباً أخرى أدت الى هذه الحال السيئة سأتني هنا بواحد منها وهو عدم تمهيد ثقافة الطلبة تمهيداً كافياً

مواعيد الدراسة ووجوب افساح مجال العمل للطلبة

أدهشني أولاً من نظام المدرسة مواعيدها فهي تفتح ما بين الساعة الثامنة صباحاً والثانية بعد الظهر ، وإذا كانت هذه المواعيد جائزة لمدرسة تلقى فيها دروس ومحاضرات ، فهي ليست جائزة لمدرسة بها صالات خاصة للعمل الفني (Studios) . إذ أنه لا يتيسر لمعظم الطلبة في مصر أن يتخذوا لأنفسهم صالات خاصة لأعمالهم الفنية لما يقتضيه ذلك من نفقات لا قبل لهم بها . وإذا عرفنا أنه لا يسمح للطلبة بنقل معدات فنيهم الى خارج مدرستهم ، بل ان هذا غير جائز ، أدركنا أن أكثر الطلبة - وخاصة طلبة فني التصوير والنحت لا يجدون من الوسائل الكافية لاتمام دراستهم الفنية في غير مواعيد المدرسة . ومن السهل ، على ما أعتقد ، إذا أريد أن لا يشغل مدرسو المدرسة في غير مواعيدها الحالية ، أن تبقى صالات العمل مفتوحة بعد الظهر ، والى أبعد مدى ممكن من الساعات ، تحت مراقبة ضابط أو معيد . وبهذا يفسح المجال لمن يشاء من الطلبة ، وإن يمهّد من نفسه الرغبة والمقدرة ، أن يزيد تجاربه الفنية ولا يترك من غير عمل أو عدة

وجوب مساعدة الطلبة على الاتصال بمظاهر الفن خارج المدرسة

فتح أبواب المتاحف أمامهم

وأدهشني ثانياً أن لا يهيباً لهؤلاء الطلبة في خارج مدرستهم الاشتراك في مظاهر الفن الرسمية

وغير الرسمية والاستفادة منها . وأول مثل على ذلك أنه لايسمح لهم بدخول المتاحف المصرية مجاناً ، ولا يعهد لهم السبيل للرسم والتصوير في داخلها ، والاقتباس من معروضاتها ، وقد بلغنى ان ادارات المتاحف تعارض في السماح لطلبة الفنون بالانتفاع بمتاحفها . وهذا نقص كبير كان يمكن تلافيه لو أن لرقابة الفنون الجميلة سلطة فعلية على هذه الادارات ، ولو أن الناحية المصرية - كما شرحت ذلك في تمهيد هذه التبعة - كانت في مقدمة عنايتها

وأثر هذا الاهمال ظاهر في تفكير هؤلاء الطلبة وفي فهمهم ، فهم يجهلون كل شيء عن فنون بلادهم ، ولا يتذوقونها ، بل ولا يجيدون رسم نماذج عنها

زيارتهم للآثار

ثم هم لايسمح لهم أيضاً بزيارة آثار القاهرة ومساجدها ، أو لايشجعون على ذلك ، ولا يطلب اليهم نقلها أو نقل أجزائها بالحفر أو بالرسم والتصوير . والذي يؤسف له أن ثمانية أعوام مضت منذ افتتاح هذه المدرسة العليا ولم تنظم فيها رحلات علمية الى آثار مصر التاريخية . وطالبة مدرسة الفنون أحق المصريين بزيارة هذه الآثار ودراستها ، اذ يجب أن يكونوا أكبر دعاة لآثارها الفنية وأكثر الناس استفادة منها ، ومن المخجل أن يجهل طلبة مدرسة فنية عالية في مصر آثار بلادهم الفنية من مبان وتحف

دعوتهم الى المعارض الفنية

وليس الأمر قاصراً على المظاهر الفنية التاريخية ، فانه تقام في القاهرة معارض فنية لايدعى الى زيارتها لامدرسوا المدرسة ولا طلبتها ، وكان واجباً أن تكون لهذه المدرسة صلة وثيقة بكل مظهر فني في مصر ، إذا لم تكن ذات أثر فعال فيه

وهكذا فطلبة الفنون الجميلة يبعدون عن كل ما يخرج عن دائرة مدرستهم من المظاهر الفنية ، وهذا نقص كبير أعتقد أنه من السهل تلافيه بمنحهم تذكرة شخصية تسمح لهم بالدخول الى المتاحف والآثار والمساجد والمعارض وتسمح لهم بالرسم والتصوير فيها . ومن السهل أيضاً أن يشمل برنامج دراستهم رحلة فنية دراسية أو أكثر الى آثار مصر القديمة ، وأن تتحمل ميزانية المدرسة جزءاً كبيراً من نفقات هذه الرحلات اذا لم تتحملها جميعاً

تنظيم رحلات وبعثات صيفية الى الخارج

واذا كان في هذا بمض العلاج لنقص معارف الطلبة بالنسبة لما في مصر من مظاهر فنية ، فإنه من الواجب أيضاً أن يمهّد السبيل الى المتفوقين منهم في فنونهم الى الاتصال بالفن الأوروبي ، وذلك بتنظيم رحلات أو بعثات صيفية الى الخارج ، أو منح مكافآت مالية تصرف في هذا السبيل . وسيكون لهذا أثر طيب في تقويم صناعة البعض وتهذيب تفكير البعض الآخر

تمهيد ثقافة الطلبة داخل المدرسة

ان يكن في هذا الذي أقترحه تمهيد لثقافة الطلبة في غير مواعيد الدراسة وخارج مدرستهم ، ففي داخل هذه المدرسة نقص كبير شرحت بعض نواحيه ، وأكرر هنا أن ليس الفن صناعة - كما تعود أن يمتقده أ كثر طلبة المدرسة - ولكنه فكرة تبعث في هذه الصناعة روحاً وحياة ، ولن تثمر الفكرة وترقى في عقل محدود التفكير

مكتبة المدرسة وتنظيم مواعيدها

ولا شك أن الغاية من انشاء مكتبة بالمدرسة كانت لايجاد وسيلة ترقى بها معارف الطلبة ، ولكن الأمر غير ذلك . فهذه المكتبة لا تفتح أبوابها إلا بين الساعة الثامنة صباحاً والثانية عشر ظهراً ، أى بينما يكون طلبة المدرسة وأساتذتها مشغولين بدروسهم . وقد تكون مواعيد العمل بهذه المكتبة مقبولة أيضاً لو أنه سمح للطلبة باستعارة الكتب منها ، ولكن الأمر ليس كذلك أيضاً ، ويكاد يكون الطلبة محرومين من مكتبتهم ، وأغرب ما سمعته من أحدهم ، وقد قضى ثلاثة أعوام بالمدرسة انه كان يمتقد أنه غير مسموح للطلبة بدخول مكتبة المدرسة

ولا شك أن في اعارة الكتب خارج المكتبة افساداً لها ، وان العناية بها تدعو القائمين بالأمر في هذه المدرسة إلى عدم السماح بخروج كتب المكتبة منها ، وبمراقبة الطلبة مراقبة دقيقة عند اطلاعهم عليها داخلها . ولهذا أرى واجباً أن تفتح أبواب هذه المكتبة في مواعيد الدراسة وفي غير مواعيدها وأن يسمح للطلبة بالاستفادة من نفائسها على الوجه الأكمل .

وإذا كان من المتعذر أن تفتح طول أيام السنة فمن الجائز أن تفتح مثلاً أثناء العطلة الدراسية يومين في الأسبوع . وإذا كان من الارهاق أن يكلف أمين هذه المكتبة بالحضور كل يوم في الصباح

وفي المساء ، فليس من العسير أن يعين له مساعد يتنارب وإياه العمل ، خصوصاً وأن تنظيم هذه المكتبة سيستدعى عناية كبيرة من ترتيب الكتب وعمل فهارس لها الى غير ذلك مما لا يقوى عليه موظف واحد .

وجوب العناية بمحتوياتها

والأمر ليس قاصراً أيضاً على مواعيد العمل بالمكتبة ، فالمحتوياتها الأثر الأول في تثقيف عقول الطلبة . وهنا أراني مضطراً الى الاعتراف بأن هذه المحتويات ضئيلة من جهة ومن جهة أخرى لم تراعى اختيارها الناحية المصرية . إذ بينما لا نجد فيها مثلاً كتاب الأستاذ ميجون Migeon عن الفنون الاسلامية نجد فيها تسع نسخ متكررة من كتاب ذى ثلاثة أجزاء عن الفن الفرنسى في القرن التاسع عشر . ولا نجد فيها الا القليل النادر عن الفن المصرى القديم . ويخجلنى أن أقول أنها لاتحوى كتاباً واحداً في الأدب العربى أو في الفلسفة أو في التاريخ ، كأن ليس لهذه الفنون صلة بالجمال . وكأن التاريخ لا يحدثنا أنه ما من فنان كبير إلا وترك في الأدب أثراً بليغاً ، كما ترك في الفن من لوحات أو تماثيل أو مباني .

انشاء متحف للصور والنماذج

وليست حاجة الطلبة الى الاطلاع في كتب الأدب والعلوم والثقافة العامة بأقل من حاجتهم الى الاطلاع على نماذج من أعمال كبار الفنانين ، وعلى صور من أهم الآثار . ومكتبة المدرسة خلو من هذا كله . وقد ذكرت في اقتراحاتي عن متحف الفن الحديث القائمة التي تعود على الجمهور المصرى من انشاء متحف للصور المنقولة وللقوالب المصبوبة وللصور الفوتوغرافية الملونة . ولا شك أن طلبة المدرسة العليا للفنون الجميلة أحق بالتمتع بمثل هذا المتحف ، وأكثر استعداداً للاستفادة منه . ولهذا فيصح أن ينشأ بجوار مكتبتهم متحف صغير على هذا النمط ، تجمع فيه أهم الصور والنماذج ، ويضم اليه القوالب المصبوبة المكسدة بالغرف الأرضية بالمدرسة . ويصح أيضاً أن يقتصر في السنين الأولى على اقتناء خمسين لوحة وخمسين تمثالا وألف صورة فوتوغرافية ، وأن تتنقى هذه من غير المعروض في متحف الفن الحديث . حتى تضم اليه إذا أريد يوماً أن يكون هذا مع المدرسة في بناء واحد

تعويد الطلبة على البحث

وليس في اطلاع الطلبة وحدهم على الكتب وعلى نماذج الفن ما يكفي لتثقيفهم الثقافة السليمة إذ من الواجب أيضا أن يمهّد لهم السبيل إلى هذا الاطلاع وأن ترسم لهم طرق البحث العلمى والفنى كأن يمهّد اليهم بعمل مشاريع فنية يحتاج تنفيذها إلى الاطلاع. ولا يقتصر على أن يطلب منهم مثلا رسم نموذج موضوع أمامهم ، أو تنفيذ فكرة قدمت اليهم تفاصيلها ، بل يفسح أمامهم المجال لانعام نظرهم وإظهار شخصيتهم والعمل على اتساع مداركهم . والسبيل إلى هذا سهل ، كأن يطلب إلى طلبة قسم العمارة مثلا تقديم مشروع عن كنيسة من الطراز البيزنطى فهذا يدعوهم إلى دراسة فى التاريخ وفى الديانات ، وكأن يطلب إلى طلبة قسم التصوير رسم موقعة من المواقع التاريخية فهذا يدعوهم إلى دراسة فى الجغرافيا وفى طبيعة الأرض ونباتاتها وفى الآلات والملابس والأنظمة الحربية وغير ذلك ، وكأن يطلب منهم الزخرفة بعمل نموذج لفلاف كتاب يجمع طبعه عن شعر عمر بن أبى ربيعة مثلا ، فهذا يدعوهم إلى دراسة الأدب العربى وما اتصل به من الفنون أو تأثر به من نواحي الحياة الاجتماعية إلى غير ذلك مما من شأنه أن يحث الطلبة على كثرة الاطلاع ويمهّد لهم السبيل إلى تثقيف عقولهم والسمو بأفكارهم

أتيت فيما تقدم على مجمل للحالة السيئة التى تحيط بالفنون الجميلة وبطلبة الفنون الجميلة فى مصر ، وأوضح فى غير تفصيل ما أراه كفيلا بعلاج بعض أوجه النقص فيها ، ولعللى أكون قد وفقت فى إظهار الحاجة الساسة للعناية بتربيتنا الفنية ولانهاض هذه الناحية الهامة من نواحي نهضتنا الحديثة التى أرجو أن ينال فيها أولو الأمر وإدارة الفنون كل نجاح وتوفيق

محمد فسكرى

القاهرة فى ١٧ مايو سنة ١٩٣٥

طَبْعُ بِمَطْبَعَةِ عَيْسَى الْبَابِي الْجَلْبِي وَشِرْكَاهُ بِمُصَرَّ

بِجَوَّارِ سَيِّدِنَا الْحَسَنِ - تَلْفُونِ رَقْمِ ٥٠٨٥٦